

# المسحاة

مجلة

المجلد الثامن عشر  
الجزء الثاني



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

# الملك

١٣١٥

قلمر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام سبى وه مناراه كنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (ش ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٦ مارس ١٩١٥

## كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل ( باب الوقت )

﴿ قال الله تعالى ( ثم جئت على قدر يا موسى ) الوقت اسم لظرف الكون ، وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات <sup>(١)</sup> : المعنى الاول <sup>(٢)</sup> حين وجد <sup>(٣)</sup> صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو <sup>(٤)</sup> لعصمة جذبها صديق خوف ، أو تلهب شوق جذبه اشتعال محبة ﴾ وجه استشهاده بالآية ان الله سبحانه قدر مجيء موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول : جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين موسى موعد للمجيء حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في وقته . وهذا كقوله تعالى ( ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ) لان الله سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملأ الأرض نورا وهدى ، فلما سمعوا القرآن علموا ان الله أنجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية يدل على محله من العلم ، لأن الشيء إذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما إذا وقع الغيث في أحوج الأوقات اليه ، وكما اذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » ( ٢ ) وقال فيه : الدرجة الاولى

( ٣ ) وفيه « وجد وجه » الخ ( ٤ ) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

## [ المثار: ج ٢ م ١٨ ] تعريف المتكلمين والصوفية للوقت ١٠٩

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجريانها في الخلق علم انها واقعة في ألبق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثته ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى ارساله ، فهكذا وقت العبد مع الله يعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف السكون » الوقت عبارة عن مقارنة حادث لحادث عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف السكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح القوم أخص من ذلك . قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعبي فوقتك العقبى ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقيه ابن وقته . يريدون أن همته لاتتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتيه ، بل بوقته الذي هو فيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعته يقولون الوقت سيف فان قطعته والا قطعك ، ونفسك ان لم تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل

قلت : يالها كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته ! ويكفي هذا ثناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم

وقد يريدون بالوقت ما هو أخص من هذا كله ، وهو ما يصادفهم في تفسير الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان بحكم الوقت . أي مستسلم



## ١١٠ أصحاب السوابق والعواقب من الصوفية [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقض صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس لله على العبد فيه أمر ولا نهي ، بل في موضع جريان الحكم السكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهي كالقصر والمرض والغربة والجوع واللام وآخر والبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الأمر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فإن التضييع لذلك والاستسلام والاسترسال مع القدر السالخ من الدين بالكفاية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياما بالتوافل وأنواع الخير والطاعة ، وإذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له ، وإذا أراد به شراً جعل وقته عليه ونا كده وقته فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده<sup>(١)</sup> الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالقعود أقامه الوقت وساعده وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قال :

(فما أصحاب السوابق) فتلوهم أبدا فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبدا ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي والتقرب إلى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين اليها ، يقول قائلهم :

من ابن أريضك إلا أن توفقي هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي  
ان لم يكن لي في القدر سابقة فليس ينفع ما قدمت من عملي  
وأما (أصحاب العواقب) فهم متنكرون فيما يختم به أمرهم ، فان الامور بأواخرها والاعمال بخواتيمها . والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يعرفنك صفا الاوقات فان تحتها<sup>(٢)</sup> غوامض الآفات  
فكم من ربيع نورت أشجاره ، وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

(١) سقط من قوله « وإذا أراد به شراً » الى هنا - فنقلناه من ب

(٢) لعل الاصل « فحتمها » فيه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة بـ ما

كانت العبارة سجدة ولكنها كتبت في ب كما يكتب الشعر

## [ المنار: ج ٢ م ١٨ ] أصحاب الوقت وأصحاب الحق من الصوفية ١١١

أصابته جائحة ساوية فصار كما قال الله عز وجل ( حتى إذا أخذت الأرض زخرفها  
وآزنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها - إلى قوله يتفكرون ) فكم من يريد  
كبابه جواد عزمه [ فخر صريع للبدن والفم ] وقيل لبعضهم وقد شوهد منه خلاف  
ما كان يعهد عليه : ما الذي أصابك ؟ فقال حجاب وقع ، وأنشد

أحسن ظنك بالأيام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فافترت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا

[ تمجيين من سقمي صحي هي العجب ] النا كصون على أعقابهم  
أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الألف واحدا واطرح الكل بعده

وأما ( أصحاب الوقت ) فلم يشغلوا<sup>(١)</sup> في السوابق ولا في العواقب ، بل اشتغلوا  
بمراجعة الوقت وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته<sup>(٢)</sup> لا ماضي له ولا  
مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له :  
كن ابن وقتك

وأما ( أصحاب الحق ) فهم مع صاحب نوم ، زمان ومالكهما ومدبرهما ،  
مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات ، ولا يتفرغون لمراجعة وقت وزمان  
كما قيل :

لست أدري أطل الليالي أم لا كيف يدري بذلك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليالي وزعي النجوم كنت مخلي

ان العاشقين عن قصر الليل وعن طول مناعة فر نهار

قال الجنيد : دخلت على السري يوم فقلت له : كيف أصبحت ؟ فقال : قد أصبحت

ما في النهار ولا في الليل لي فرح ولا لي أذى في الليل ولا في النهار

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار . يشير إلى أنه غير منظم في الأوقات ،

بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في ب بالفكر في السوابق ٢ وفيها « انظر لا ص ل » الخ

## ١١٢ للوقت ثلاث معان الاول للدرجة الاولى [ المنار : ج ٢ م ١٨ ]

### فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب ثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق « أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له ولا متعمل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل « أي رؤية ذلك ، ولا يناس الرؤية قال الله تعالى ( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا ) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية ما يأنس به القلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فاذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك <sup>(١)</sup> فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لقائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسأته عنه فقال : ذكرت مامن الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والفطرة السليمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرني ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه

قوله « جذبه صفاء رجاء » أي جذب <sup>(٢)</sup> ذلك الوجد أو الايناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه <sup>(٣)</sup> بوجه معاوضة منك ، وان عملك هو الذي بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرج <sup>(٤)</sup> من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه . وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موانعه . كل بيد الله لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توفيقه واذنه ومشيدته

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة

فصححت على ب (٤) في ب « يخلصه »

[ المنار: ج ٢ م ١٨ ] المعنى الثاني الوقت ما بين التلون والتمكن ١١٣

ويلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الاكدار قوله « أولعصمة جذبها صدق خوف » اللام في قوله أولعصمة معطوف على اللام في قوله أولايئناس ضياء فضل . أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف ، فاللام ليست للتعليل بل هي على حدها في قولك : ذوق لسكذا ، ورؤية لسكذا . فتعلق الوجد بعصمة ، وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من الرب سبحانه ، والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذبه صدق الرجاء وفي الثانية جذبه صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذكر جذبه صدق الحب ، فهو معنى قوله « أولتهب شوق جذبه اشتعال محبة » وخدمته التورية في التهيب والاشتعال ، والمحبة متى قويت اشتعلت نارها في اقلب فحدث عنها طيب الاشتياق الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الحب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الاولى لها حبه والانفع له ، وهي أساس السبوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله ( أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة - أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا ) وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية وعليها دارت رحى الاسمال والله أعلم

### مكمل

قال ( والمعنى الثاني <sup>(١)</sup> اسم الطريق سالك السبوك المتمكن وتلون ، لكنه الى التمكن ما هو سالك الحال ، وابتعد الى العلم به على شغل <sup>(٢)</sup> في حين ، والحال يحمله في حين ، فبالايم بينهما لربك شهودك سالك ، ويكتمه غيرة طور ، ربه غيرة تفرق طور ) هذا المعنى هو معنى الثاني من معاني الازمنة من معاني الوقت عنده ، قوله « اسم الطريق سالك » هو على لاصقة أي الطريق عبدا سالك ، قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

( المنار: ج ٢ ) ( ١٥ ) ( المجلد الثامن عشر )



## ١١٤ السلوك بين العلم والحال والجمع بينهما [ المنار : ج ٢ م ١٨ ]

« يسير بين تمكن وتلون » أي ذلك العبد يسير بين تمكن وتلون ، والتمكن هو الانقياد الى أحكام العبودية بالشهود والحال ، والتلون في هذا الموضع خاصة هو الانقياد الى أحكام العبودية بالعلم . فالحال يجمعه بقوته وسلطانه فيعطيه تمكينا ، والعلم يلونه بحسب متعلقاته وأحكامه ؛ قوله « لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ويلتفت الى العلم » يعني ان هذا العبد هو سالك الى التمكن مادام يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم <sup>(١)</sup> فاما إن سلك العلم والتفت الى الحال لم يكن سالكا الى التمكن ، فالسالكون ضربان : سالكون على الحال ملتفتون الى العلم وهم الى التمكن أقرب ، وسالكون على العلم ملتفتون الى الحال وهم الى التلون أقرب . هذا حاصل كلامه وهذه الثلاثة هي المفرقة بين أهل العلم وأهل الحال حتى كأنهم ما غيران وحران ، وكل فرقة منهما لا تأنس بالأخرى ولا تعاشرها إلا على الغرض ونوع استكراه ، وهذا من تقصير الفريقين حيث ضعف أحدهما عن السير في العلم وضعف الآخر عن الحال في العلم . فلم يتمكن كل منهما من الجمع بين الحال والعلم . فأخذ هؤلاء العلم وسعته ونوره ورجحوه ، وأخذ هؤلاء الحال وسلطانه وتمكينه ورجحوه ، وصار الصادق الضعيف من الفريقين يسير باحدهما ملتفتا الى الآخر ، فهذا مطيع الحال <sup>(٢)</sup> وهذا مطيع العلم ، لكن المطيع للحال متى غلب به العلم كان مناطا محجوبا وان كان له من الحال ما عساه أن يكون ، والمطيع للعلم متى أعرض به عن الحال كان مضيعا منقوصا مشتغلا بالوسيلة عن الغاية ، وصاحب التمكن يتصرف علمه في حاله ويحكم عليه فينقاد لحكمه ، ويتصرف بحاله في علمه فلا يدركه العلم معه ، بل يدعو الى غاية العلم فيجيبه ويلبي دعونه ، فهذه حال الكمال من هذه الامة ومن استقرأ أحوال الصحابة وجددها كذلك . فم فرقوا بين الخلق والعلم دخل عليهم النقص والحال والله المانع (١) لمن يشاء بنا ، ويحب من يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا وإنا ونعمل من يشاء عظيم الله عليم قدير (٢) فكذلك يهب لمن يشاء علما ومن يشاء حالا ، ويجمع بينهما لمن يشاء ، يخلي من

(١) سقطت هذه الجملة من ن فائدتها من ن

(٢) في ن « الى الحال » وهو غلط

يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحال ، لان العلم متنوع التعلقات فهو يفرق ، والحال يجمع ، فانه يدعو الى الفناء وهناك سلطان الحال ؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يغلب عليه الحال تارة فيصير محمولا بقوة الحال وسلطانه على السلوك فيشتد <sup>(١)</sup> سيره بحكم الحال ، يعني واذا غلبه العلم شغله عن السلوك ، وهذا هو المعهود من طريقة المتأخرين [ ان العلم يشغل عن السلوك ] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم ، وأما على ماقررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلا ريب ان العلم لا يجمع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولا هو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغير السلك — كما تقدم تقرير ذلك — فبينا ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة للفناء عن محبة ماسوى لله واراادته فيفنى بمحبة الله عن محبة ماسواه ، وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والالابة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وألمه بين داعي الحال وداعي العلم ، فإيمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، ووارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالغريم بين مطالبين ، كل منهما بطالبه بحقه وليس بيده الا ما يقتضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والافع السعة يوفي كلا منهما حقه .

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين يذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه هو العلم  
قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالباء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

(١) وفيها « فيشتد »

## ١١٦ الفرار من الله إلى الحال فالعمل فالعلم [النار : ج ٣ م ١٨]

بأفعاله واستدللاً عليه بها ، فإنه سبحانه دل على نفسه بأفعاله ، فالعلم يكسو صاحبه اعتباراً واستدللاً على الرب بأفعاله

ويصح أن يكون عبرة بالغين المعجمة<sup>(١)</sup> والياء المشقة من تحت ومعناه أن العلم يكسوه عبرة<sup>(٢)</sup> من حجابته عن مقام صاحب أسأل ، فيعار من<sup>(٣)</sup> احتجابه عن أسأل بالعلم وعن العيان بالاستدلال وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالإيمان الذي هو إيمان بالغيب

قوله « ويريه عبرة تفرق طوراً » هذا بالغين المعجمة ليس الا ، أي ويريه العلم عبرة تفرق في أوديته فيفرق بين أحكام المال وأحكام العلم وهو حال صحو وتميز . وكأن الشيخ رحمه الله يشير إلى أن صاحب هذا المقام يفرق تفرقه<sup>(٤)</sup> من جمعيته على الله . فنفسه تفر من الجمعية على الله إلى تفرق العلم ، فإنه لا أشق على النفوس من جمعيته على الله ، فهي تهرب من الله إلى الحال تارة وإلى العمل تارة وإلى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ، وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفسهم تفر من الله إلى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيته على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها إليه وان يشغلها بما دونه ، فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن زواهيها ، فهي دائماً ترضيك بالعلم عن العمل وبالعمل عن الحال وبالحال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه إلا من شد منزر سيره إلى الله وعلم أن كل ما سواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار إليه - : درجة الحال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الحال والعلم ، وهذه الثلاث درجات<sup>(٥)</sup> هي المختصة بالغنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

(١) في ب زيادة « بالغين المعجمة » (٢) وفيها « غير » (٣) وفيها « فيعار »  
حتماً احتجابه « الخ (٤) وفيها « تفرقته » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث  
الدرجات



## فصل

قال **المعنى الثالث** <sup>(١)</sup> قالوا: الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم <sup>(٢)</sup> في هذا المعنى الثالث حين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا . وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق <sup>(٣)</sup> مقام الجمع أو دام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لسكنه يلقي <sup>(٤)</sup> مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود . هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله وأصعب تصورا وحصولا ، فإن الأول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قاب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

فقله « قالوا الوقت هو الحق » يعني أن بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وأنهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، ومعنى هذا أن السالك بهذا المعنى الثالث إذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلاشى عنه وقته بالكلية ، وتقريب هذا إلى الفهم أنه إذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت إلى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانغم فيه كما تنغم القطرة في البحر ، ثم أن الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم أن الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة إلى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الأنوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في علمه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه <sup>(٥)</sup> بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفي ب وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكلامهم في كماله



## ١١٨ غلط أهل الوحدة أو مراد المحققين فيها [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

نسبة ما الى صفات الرب جل جلاله

والتقوم اذا أطلق أهل الاستقامة منهم [ ما في الوجود الا الله ] أو [ ما ثم موجود على الحقيقة الا الله ] أو [ هناك يفتى من لم يكن ويبقى من لم يزل ] ونحو ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما إذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في الوجود ، وغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم <sup>(١)</sup> مغمورا بوارده ، وفي قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم الخال ، فهناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وتزل أقدام كثيرة الى الخضيض الأدنى ، ولا ريب ان وجود الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كأنه لا وجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ، وغرهم كلمات مشتهيات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطائفة فجعلوها عمدة لكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين سيرجعون اليهم وتصير طريقة الناس واحدة ( ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون )

قوله « وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي » يريد ان الحق سابق <sup>(٢)</sup> على الاسم <sup>(٣)</sup> الذي هو الوقت ، أي هو منزعه عن أن يسمى بالوقت فلا ينبغي إطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله « لكنه اسم في هذا المعنى الثالث حين تتلشى فيه الرسوم كشفا لاوجودا محضا » تتلشى الرسوم اضمحلالها وفنائها ، والرسوم عندهم ماسوى الله ، وقد صرح الشيخ انها إنما تتلشى في الكشف لافي الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها في الوجود خلاف الحس والعيان ، وإنما تتلشى في وجود العبد الكشفى بحيث لا يبقى فيه سعة الاحساس بها لما استغرقت من الكشف ، فهذه عقيدة أهل الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فمذهبهم انها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق ، بل وجودها هو نفس وجوده ، وإنما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان القلب » (٢) وفيها « سبحانه » بدل « سابق » وهو غلط

(٣) وفيها « هذا اسم » الخ

## [ المارح ٢ م ١٨ ] للانسان أربع نشآت وللروح نشأتان ١١٩

غاب عن حسه بكشفه تبين ان وجودها هو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ كأنه عبر بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهما في كتابه ، والكشف هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس معه استغراق في الفناء ، والوجود لا يكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لاوجودا محضا » فان الوجود المحض عنده يفتي الرسوم ، وبكل حال فهو يفنيها <sup>(١)</sup> من وجود الواحد لا يفنيها في الخارج

وسر المسئلة ان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي المشترك بين الموجودات ، ويصير له نشأة أخرى لقلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية اليها كنسبة النشأة في بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه النشأة الى النشأة الأخرى

فلعبد أربع نشآت : نشأة في الرحم حيث لا بصريدركه ولا يد تناله ، ونشأة في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني ، <sup>(٢)</sup> وكل نشأة أعظم من التي قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلا ، وللبدن تبعا ، فلروح في هذا العالم نشأتان ( احدهما ) النشأة الطبيعية لمشاركة ( والثانية ) نشأة قلبية روحانية بولد لها قلبه وينفصل من مشيمة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيمة البطن ، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحا وليشتغل بغيره . وفي كتاب الزهد للإمام أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : إنكم ان تلجوا ملكوت السماء حتي تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه الرسوم فوق منزلي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر بالدوام ، قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي نودام هذا الوقت اشارف مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلا به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشئها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

١٢٠ المسامرة هي المناجاة. استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر [ المنار : ج ٢ م ١٨ ]

جمع في الشهود . وعند الملاحظة هو جمع في الوجود ، ومقصوده انه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتي يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اثقال المعاملة مع قيامه بها أتم القيام بحيث تصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على الخبر فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يعني عن المعاملات الجسدية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وزبه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخلص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويشم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشم روائح الوجود وهو حضرة الجمع فانهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ماسواه . وقد عرفت ان فناء وجود ماسواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيته بالنسبة الى وجود الرب ، ولا تلتفت الى غير هذين المعنيين فهو الحاد وكفروا لله المستعان ؟

### استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع لعيوب الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ بـبُهرٍ والتفاتٍ وسَعلةٍ ومسحةٌ عُشونٍ وقتل الاصابع

: إن ضبط التفات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان

« التفات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يجيز

فهمه وذوقه للغة هذا الضبط فليفضل ببيان ذلك لنا ؟



مَدِينَةُ

دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

والحق أن الاعصاب كلها تربط أجزاء الجسم بعضها ببعض كما تربط أسلاك  
التلغراف بعض الممالك ببعض الآخر

٤

﴿ تذييل لما تقدم ﴾

في الارادة والروح والقوى العقلية

قلنا إن سبب حركة القلب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى ، فهي من الخواص  
التي وهبها له ، وكذلك وهب مثل هذه الحركة الذاتية للخلايا ذات الاهداب  
المبطنة لبعض الاغشية كالشعب الرئوية، وللخلايا المتحركة ككريات الدم البيضاء  
وغيرها ، ولكن هناك فرقا بين حركة هذه وتلك ، فان حركة الكريات لانظام  
لها بخلاف حركة الاهداب فانها في غاية النظام، وسريعة جدا، وهي في انتظامها تشبه  
انتظام ضربات القلب . فكل هذه الخلايا تتحرك حركة ذاتية لا يعلم لها سبب  
مطلقا، وإن كان للبيئة تأثير فيها يمثل الزيادة أو النقصان، ولكن نفس الحركة كأنها  
بارادة هذه الخلايا اقية . وأحق أنها من أعظم مظاهر إرادتها وحياتها، وهي عامة  
في كل الخلايا ، نباتية كانت أو حيوانية ، ولكنها تكون أظهر في بعضها من البعض  
الآخر أو تكون كامنة فيه ، وهي أدل على إرادة بعضها من بعضها

ومعنى كون هذه الحركة بارادة الخلية أنها من عملها الذاتي الذي لا يظهر أن  
للبيئة تأثيرا في إيجاده وإنشائه ، فمثلا تشاهد الكريات البيضاء أو بعض الميكروبات  
تتحرك في السائل الواحد ثم تسكن ثم تتحرك بدون أي سبب خارجي وأحيانا

( المجلد الثامن عشر )

( ١٦ )

( المنار ج ٢ )



## ١٢٢ القلب عرش الروح والمخ مركز الشعور [ المنار : ج ١٨م٢ ]

تتجه الى جهة ثم تعدل عنها الى غيرها وهكذا ، أي إن عملها يختلف في البيئة الواحدة ، ولا معنى للارادة سوى هذا

وكذلك المخ قد يبدأ العمل ثم يتركه بدون أي سبب خارجي لا في الحال ولا في الماضي بحسب ما نعلم ، بل بمحض الارادة والاختيار ، وإن عارض ذلك كثير من الفسيولوجيين

فالحق أن الارادة وحرية العمل هي أكبر خواص الاحياء وهي أعظم ما يميزها عن الجاد ، وأما زعم بعضهم أن الاعمال كلها ليست إلا أفعالا منعكسة فهو لا يمكن اثباته ، وما هذا الزعم إلا أثر من آثار التعاليم المادية في نفوسهم

هذا ولما كانت حياة الجسم كله متوقفة على حياة القلب فلا يبعد أن تكون الروح شيئا مستقرا فيه ، ولا يبعد أن تكون من عالم الاثير ، وبموت القلب تنفصل عنه . ولا نقول ان الخلايا الاخرى حية بغير شيء ، كذا ، بل نقول ان حياة القلب أو روحه هي أكبرها وأعظمها ، ولذلك قلنا ان روحه هي روح الانسان لأن عليها مدار حياته ، فهي الروح الرئيسة وغيرها تابع لها

واعلم ان القشرة السنجابية للمخ هي مركز الشعور العام والارادة والتعقل وان كان لكل الخلايا الحية مثل هذه الصفات إلا أنها فيها في الحالة الاثرية ، كما أن الانقباض هو من خواص الخلايا الحية كلها ولكنه في خلايا العضلات أظهر منه في غيرها ، وهكذا يقال في سائر الخواص الاخرى للحياة

وهناك علاقة كبرى بين قوة المخ فيما ذكر وبين حجمه ، وإذا قارنا وزنه بوزن الجسم كله وجدنا أن مخ الانسان أكبرها بالنسبة الى جسمه . أما أكبر الانحناخ على الاطلاق فهو مخ النيل واخوت

ثم إنك تجد أن مخ الذكي أثقل من مخ البليد والابله ، ومخ الرجل أثقل من مخ المرأة ، وقل مثل ذلك في الراقي في العلم والادب مع المنحط ، الا ما يستثنى من ذلك وكذلك كثرة التلافيف في القشرة السنجابية وتعقد تعاريجها وعمق الميازيب التي بينها كلها أشياء تختلف باختلاف القوى العقلية فهي تكثر في الانسان وتقل أو تنعدم في الحيوانات التي هي دونه رقا . وعند ولادة الطفل يكاد المخ يكون غفلا منها

ثم تكثر الى زحف شبات وتكبوته وبعده تقل تدريجيا حتى تقارب في أرذل العمر شكل مخ الاطفال

ويلى مخ الانسان في كثرة التلافيف وتعقدتها مخ بعض أنواع القرود  
ففي المخ روح الادراك والشعور وفي القلب روح الحياة ، ولا يبعد أنهما  
أجزاء من روح واحدة. وهذه الروح في الاحياء ذات الخلية الواحدة (وتسمى الاولى)  
وزعة على جميع أجزائها بالتساوي وكما ارتقينا في سلم الاحياء وجدنا أنها موزعة على  
الجسم بدرجات متفاوتة كما ترى في الانسان ، والله أعلم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

## المجموع الدوري للدم

ليس الدم في أجسام الحيوانات واقفا بل هو دائر فيها والله في ذلك  
حكمتان رئيستان ، عليهما مدار حياة حيوان :

(أولهما) توزيع المواد الغذائية وغيرها كالأدوية على جميع أجزاء الجسم  
وكذلك توزيع الأكسجين الذي هو ضروري لاحتراق الداخلي (التفاعل الحيوي)  
(ثانيتهما) جمع جميع المواد الملوثة عن تفاعل الحيوي الى الانسجة المختلفة  
إخراجها من جسم الحيوان لتتخلص منها الكائنات الحية . ومن ذلك أيضا  
تجميع مخلفات الجسم لإخراجها عن الجسم

ولأعضاء المختصة بإخراج الدم هي القلب والشرايين والأوعية الشعرية ولا توجد  
في القلب فوج كبير من خلايا الدم في موضع في الصدر يسمى رئتين  
من جهة واحدة من جهة الأيسر وفيه في الأستفلا من جهة  
مخالف مصفى الدم من شوائب الأحياء المتأخرين من جهة واحدة  
وفي الرئتين من جهة واحدة من جهة الأيسر وفيه في الأستفلا من جهة  
أخرى من جهة واحدة من جهة الأيسر

أما الأذين الأيمن ففيه فتحة واحدة (لاخروج الدم) و (لاجانب لانس) وعما  
والأذين الأيسر ففيه فتحة واحدة (لاخروج الدم) و (لاجانب لانس)

ومن البطين الايمن يخرج شريان كبير يحمل الدم الى الرئتين  
وفي جُدر الأذين الأيسر أربع فتحات لأربعة أوردة: اثنان منها آتيان من  
الرئة اليمنى، واثنان من الرئة اليسرى

ومن البطين الايسر يخرج شريان عظيم يسمى بالافرنجية Aorta  
(أورطى) وبالعربية الأبهري وهو أكبر شريان في الجسم يحمل الدم في فروعه  
الى جميع أجزاء الجسم

وبين الاذنين الايمن والبطين الايمن فتحة لها صمام (غطاء) يسمح  
بمرور الدم من الاولى الى الثانية ولا يسمح بالعكس

وبين الاذنين الايسر والبطين الايسر فتحة لها صمام أيضا ولكنها أصغر من  
الفتحة المتقدمة ووظيفتها كوظيفة تلك

وكل من الشريان الرئوي والأبهري له ثلاث صمامات تسمح بمرور الدم من  
القلب الى الشريان ولا تسمح بالعكس

وأعظم أمراض القلب هي التي ينشأ عنها تلف هذه الفتحات بحيث تضيق  
عن المعتاد أو تسمح برجوع الدم الى عكس المجرى الطبيعي

والقلب ينقبض من أعلى الى أسفل فينقبض أولا الاذنان فيندفع الدم منهما  
الى البطينين . ثم ينقبض البطينان فيندفع الدم منهما الى الشريان الرئوي من الجهة  
اليمنى للقلب، ويندفع الدم الى الأبهري من الجهة اليسرى للقلب

وإذا اجتمع الدم الفاسد في الاوردة سار الى الاجوف الاعلى والاجوف  
الاسفل وانصب في الاذنين الايمن ومنه الى البطين الايمن ومنه الى الشريان

الرئوي فالرئتين لينصلح هناك ( بخروج ثاني أكسيد الفحم منه ودخول  
أكسجين فيه من الهواء ) ثم يعود الدم من الرئتين في الاوردة الاربعة التي تصب

في الأذين الايسر ومن الاذين الايسر يندفع الدم الى البطين الايسر ومنه الى  
الأبهري (الأورطى) ومن الأبهري يوزع على جميع أجزاء الجسم كافة فيحمل اليها

دما صالحا. وتنتهي جميع فروع الأبهري بعروق دقيقة جدا يتصل بعضها ببعض كشبكة  
وهذه العروق هي المسماة بالشعرية تشبها لها بالشعر وينشأ منها أوردة صغيرة



## [ المفاصل: ج ٢ م ١٨ ] الشرايين والاوردة . ضربات القلب ١٢٥

( وهي العروق التي يتجمع فيها الدم الفاسد بعد مروره على جميع أجزاء الجسم ولونه أسود ) وهذه الاوردة الصغيرة يجتمع بعضها ببعض فيتألف منها أوردة أكبر فأكبر حتى تنتهي الى الاجوف الاعلى والاجوف الاسفل وهما أعظم ورديين في الجسم ومن ذلك يعلم أن الشريان هو العرق الخامل للدم الصالح، والوريد هو العرق الخامل للدم الفاسد، وهذه التسمية صحيحة في الجسم كله ماعدا الشريان الرئوي فانه يحمل دما فاسدا، وماعدا الاوردة الاربعة الرئوية فانها تحمل دما صالحا، ولذا رأى المشرحون تعريفا آخر أصح، وهو أن الشريان هو كل عرق يحمل الدم الخارج من القلب، والوريد كل عرق يحمل الدم الذاهب الى القلب بقطع النظر عن صلاحه أو فساده

وهما تقدم يعلم أن الدم في دورته في الجسم كله لا يخرج مطلقا عن العروق ( الشرايين والاعوية الشعرية والاوردة ) الا اذا أصابها حادث تمزقت بسببه فيخرج اذا منها وينسكب حولها ويسمى ذلك بالرض أو الكدم<sup>(١)</sup> وهو الزرقه التي تشاهد في الجسم عند ضربه أو اصطدامه بجسم صلب ويستثنى من ذلك موضعان ليس فيهما أوعية شعرية فيسير الدم من الشرايين الى تجاويف فيهما ومنها الى الاوردة وهما الذكرك والطحال، وانصباب الدم في هذه التجاويف بكثرة في الذكرك تحدث انتصابه

أما الاشياء الصالحة التي في الدم فتخرج مع مائة ادم من خلال جدران الاعوية الشعرية لتغذية جميع خلايا الجسم وأما الكريات الدموية فهي التي تبقى دائما في داخل العروق الا في الاحوال الاستثنائية . والمواد المائية الخارجة من الاعوية الشعرية تفعل ذلك بطريقة الاسموز الذي سبق بيانه في علم الطبيعة

عدد ضربات القلب والنبض

اتقباضات قلب الانسان تبلغ في الدقيقة الواحدة نحو ٧٠ أو ٧٢ مرة في الذكرك، «١» الرض لغة الدق والكدم العض، وفي اصطلاح أطباء هذا العصر يطلق الاول على العرق تحت الجلد من الاعوية الكبيرة والثاني عليه من الاعوية الصغيرة



## ١٢٦ الدم وما يتركب منه [ المنار: ج ٢ ص ١٨ ]

ونحو ٨٠ في المائة، وهي في الأجنة والأطفال أكثر منها في غيرهم، وتقل في الشيخوخة، وقد تزيد هذه الانقباضات في كثير من الأحوال كما في الخوف الشديد وفي الحيات وغير ذلك، وقد تكون هذه الانقباضات أو ضربات قليلة في بعض الأشخاص بدون مرض، وهي تضعف في بعض الأمراض وخصوصاً قليل الموت. والدورة الدموية تم في أقل من نصف دقيقة.

وكما انقبض القلب تدفع الدم منه إلى الشرايين فيحدث فيها امتلاء فجائياً وهو المسمى بالنقبض وهو الذي يحسه الأطباء فوق الرسغ وغيره لمعرفة حالة ضربات القلب، والنقبض لا يشعر به عادة في الأوردة لأن قوة الضغط إذا وصلت إلى الأوعية الشعرية التي بين الشرايين والأوردة تكون قد قلت حتى لا يشعر الإنسان في الأوردة بضغط جديد متكرر كما في الشرايين. وعدد مرات النبض في الشرايين تعادل تماماً مرات ضربات القلب وتحدث بعدها مباشرة إلا أنها في الشرايين البعيدة تتأخر فترة قصيرة جداً عن ضربات القلب.

الدم

يوجد في جسم الإنسان عادة ما من وزن جسمه دماء فيكون التقدير الذي في جسم الإنسان المعداد من ٥ إلى ٦ لترات من الدم. وهو سائل أحمر اللون غليظ يتركب ميكروسكوبياً من قسمين: الأول الكريات، والثاني ماء الدم وهو المسمى بالفرجة (Plasma).

الكريات فهي نوعان: كريات حمراء وهي عبارة عن غشاء رقيق ممتلئ بمادة حمراء اللونية من حمراء من الحديد تسمى «الهيموجلوبين» ويختلف شكل هذه الكريات الحمراء باختلاف الحيوانات: ففي ذوات الثدي تكون أقراصاً مستديرة مغطاة من الجانبين ولا نواة لها، ماعدا الجمال فإن كراتها محدبة من الجانبين وهو يفرق الوحيد بيننا وبين الحيوانات الأخرى الثديية.

أما في الطيور والزواحف والأسماك وذوات الحياتين وهي التي تعيش في الهواء والماء<sup>(١)</sup> «تسمى باليونانية وغيرها Amphibia ومعنى Amph «كلتا» وBios «حياة» وهي تعيش في البر والبحر

## [ المثار : ج ١٨ ] كريات الدم الحمراء والبيضاء ١٢٧

كالضفادع فكرياتها جميعا يضاوية الشكل محدبة من الجانبين ولها نواة. وحجم هذه الكريات كلها يختلف باختلاف الحيوانات . وأعظم منشأ للكريات الحمراء هو المظام الاسفنجية كما سبق وخصوصا عظام الضلوع وهي أهم مصدر لها وأما الكريات البيضاء فهي خلايا حيوية ولها نواة واحدة أو أكثر وحركة ذاتية بحيث يمكن أن تنتقل من مكان الى مكان بنفسها ، وهي تنشأ من الغدد اللمفاوية ونحوها كالطحال. وأعظم وظيفة لها أنها تقتل الميكروبات وتأكلها فتقتي الدم منها فاذا أصاب جزءا من الجسم عارض أحدث فيه التهابا ودخل فيه بعض الميكروبات أسرع هذه الكريات البيضاء اليها فالتقمتها وقتلتها فان تغلبت الميكروبات مرض الجسم وان نجحت الكريات في قتلها وقت الجسم من شر هذه الميكروبات، وما يموت منها في أثناء هذا القتال يتجمع في موضع الالتهاب مختلطا بغيره ويسمى بالمدة أو الصديد، فأكثر كريات المدة عبارة عن شهداء هذي الحرب أي كرات بيضاء ميتة أما عدد الكريات الحمراء في الجسم فهو ٥ ملايين كرية في كل ملليمتر مكعب من الدم قريبا، وأما البيضاء فهي من سبعة آلاف الى عشرة . وسيأتي في فصل النفس الكلام على وظيفة الكريات الحمراء

وإذا خرج الدم من العروق تجمد، وتجمله يحصل هكذا :  
يفصل من مائة الدم مادة تسمى الفبرين أو الليفين لأنها كخيوط الليف فتحيط هذه الالياف بالكريات البيضاء والحمراء وتنقبض عليها وتكون الجزء المتجمد الذي يسمى بالعريية العلقية<sup>(١)</sup> (Clot) وما بقي من ماء الدم يسمى المصل وفي الدم مواد زلالية وسكر (جلوكوز) وأملاح عديدة ومواد دهنية وماء وغير ذلك، أما مائة الدم اذا خفت بماء أكثر أو قل زلالتها فتسمى اللف ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته يحمل معه جميع المواد المغذية التي يحتاجها الجسم، وكذلك يأخذ معه من الجسم المواد التالفة التي تخلفت عن الاحتراق الجثامي ليوزعها على الاعضاء المختصة باخراجها من الجسم كالجلد والكليتين . وأهم هذه

«١» يسمى أول طور من أطوار الجنين أيضا بالعلقة لأنه مركب من عدة خلايا «كريات» ناشئة من انقسام البويضة وتكون قطعة جامدة كعلقة الدم

## ١٢٨ حكم تحريم شرب الدم [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

المواد التالفة البولينا وحامض البوليك والكرياتينين وغير ذلك

### حكم تحريم شرب الدم في الشرائع الالهية

( أولها ) أن الدم عسر الهضم جدا حتى انه اذا انصب جزء منه في المعدة تقاياه الانسان أو يخرج مع البراز بدون هضم على صورة مادة ازجة سوداء والسبب في عسر هضمه هذا هو وجود المادة الحمراء الحديدية التي فيه . وفي أثناء مرور الدم في القناة الهضمية يتحلل ويتعفن وبذلك يضر الجسم أيضا . ومثثلة عسر هضمه المذكورة هنا مشاهدة كثيرا كلما انصب دم في المعدة بسبب جرح أو غيره

( ثانيها ) أن الدم - كما سبق - يحمل كثيرا من المواد المتخلفة عن الجسم وهي فضلات له فلا يصح اعادتها اليه مع أن الطبيعة اقتضت خروجها منه ، نعم قيل أن البولينا نافعة في السل الرئوي ولكن ذلك لم يثبت الى الآن وهي ليست موجودة وحدها بل معها أشياء أخرى ضارة

[ ولعله اذا ثبت ان البولينا نافعة يكون ذلك احد أسباب شرب العرب بول الإبل وهو يختلف بعض الاختلاف عن بول الحيوانات آكلة اللحم فلهذا ربما كان نافعا في بعض الامراض كما ورد في بعض الاخبار النبوية وأعظم اختلاف بين هذا البول وبين الابول الاخرى أنه هو وغيره من أبوال آكلات النباتات قلوي التأثير مشتمل على كثير من الكربونات وهي لاشك نافعة للمعدة وغيرها ، مدرة للبول ]

( ثالثها ) انه في كثير من الامراض العفنة المعدية يوجد في الدم ميكروبات ضارة جدا وكذا سمومها القتالة فانها تدور في الدم . فان قيل لم لا يطبخ الدم ويؤكل بعد قتل هذه الميكروبات بالغلي ؟ قلت ( ١ ) إن الغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسرا مما كانت ( ٢ ) إن من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغيرا يجعلها صالحة للجسم ( ٣ ) إن بعض الميكروبات اذا تجمدت ، احولها من المواد الزلالية التي في الدم وقتها من فعل النار لانها موصلة رديئة للحرارة ، وأيضا فان حييات ( أي بزور ) الميكروبات تقاوم درجة الغليان بضع دقائق فاذا لم تمت نمت في جسم آكل الدم وأمرضته



أما حقن دم الحيوان في وريد الانسان ففيه أنه قد ينقل المرض اليه، أو يجمد الدم في عروقه، فإن اتقينا هذا وذلك بالطرق العلمية انحلت كريات الدم الحمراء لاختلاف كثافة الدمين ولغير ذلك ونزلت حمرة الدم في البول وذلك ضياع له . ولذلك لا يحقن الاطباء الآن الدم ويحقنون عادة محلول ملح الطعام. على أن حقن

الدم خارج عن موضوع التحريم

### اللمف والاعوية للمفاوية

إذا خرجت مائة الدم من الاعوية الى أنسجة الجسم عادت الى الدم ثانية بطريق الاعوية للمفاوية وهذه الأعوية عبارة عن قنوات دقيقة شعرية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وفيها صمامات عديدة فتحمل جميع مائة الدم التي خرجت منه وتعيدها اليه

أما هذه المائة المخففة<sup>(١)</sup> والمالئة لجميع أجزاء الجسم فهي المسماة (بالمادة للمفاوية)

و«لمفا» كلمة لاتينية معناها الماء

وجميع الاعوية للمفاوية التي في الذراع الايمن ونصف الصدر الايمن وما حوى ونصف الرأس والعنق الايمن وأعلى سطح الكبد كلها تجتمع وتصب في قناة واحدة تسمى «القناة للمفاوية اليمنى» وهذه تصب في أحد الاوردة التي في داخل الصدر من أعلى الجانب الايمن

أما الاعوية للمفاوية الباقية فتصب في قناة أخرى عظيمة تسمى «القناة الصدرية» وهي أيضا تصب في أحد الاوردة في أعلى الصدر من الجهة اليسرى ويوجد في طريق جميع هذه الاعوية للمفاوية غدد من مادة مخصوصة تسمى «الغدد للمفاوية» ووظيفتها تكوين كريات بيضاء للدم وتصفية جميع المادة للمفاوية المارة بها من كل ما فيها من الميكروبات وغيرها، فإذا أصاب أحد أصابع اليد جرح مثلا فسد بسبب وجود ميكروبات فيه أحس الانسان بانتفاخ وألم في إبطه،

(١) نظرا لسرمرور المواد الزلالية خلال الاغشية بطريق الاسموز - كما سبق

بيانه - كانت هذه المائة مخففة لقلة الزلال فيها لذلك السبب

(المجلد الثامن عشر)

(١٧)

(المنار - ج ٢)



## ١٣٠ دم الحيض وحكمة تحريم غشيان الحائض [ المنار: ج ٢ ص ١٨٨ ]

وذلك ناشئ من كبر حجم هذه الغدد وانفعالها انفعالا شديدا لقتل الميكروبات الواصلة إليها ، فان تغلبت عليها ولا تحولت الى خراج بسبب موت كثير من السكريات البيضاء التي فيها من عراكها مع الميكروبات كما سبق وهذه المادة اللعفاوية تندفع نحو القلب بسبب ضغط المواد اللعفاوية المتجمدة خلفها ، و بسبب حركات العضلات ، وأيضا بسبب انقباض بعض هذه الاوعية اللعفاوية على ما فيها وغير ذلك. ويمنع رجوع هذه المادة الى الانسجة ما في هذه الاوعية من الصمامات العديدة

ويوجد في بعض الحيوانات التي تحت رتبة الانسان ( وهي الواطئة ) كالضفادع مثلا قلوب لتحريك هذه المادة اللعفاوية كقلب الدم الموجود في الانسان وغيره

### دم الحيض

ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للرحم في كل شهر قمرى مرة على الغالب ويختلط هذا الدم في أثناء نزوله بمواد مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره . ولا يعلم سبب هذا التمزق الشهري الى الآن . ومن ذلك يفهم انه ليس دما صافيا تقيا بل مختلطا بمفرزات الرحم والمبيضين وغيرهما. وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته

وانما حرم الجماع في زمن الحيض للأسباب الآتية : —

(١) إن تهيج أعضاء الانثى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقانا فالتهابات وحمية أو مبيضية أو حوضية تضر بصحتها ضرارا بليغا . وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البیوضة يؤدي الى العقم . وأيضا فان تعريض الانثى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهابا

(٢) إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابا صديديا في بعض الاحيان ، وهذا الالتهاب يشبه السيلان، وقد يمتد الى الخصيتين فيؤذيها وربما نشأ عن ذلك أيضا عقم الرجل

فجملة القول ان الجماع في الحيض قد يحدث عقما في الذكر والانثى ويؤدي الى

التهاب أعضائهما الذي يفسد صحتهما . وكفى بذلك ضررا . ولذلك تجد أطباء العالم المتبدن الآن ينهون عن الجماع في ذلك الوقت كما نهى القرآن عنه فإنه لاشك أذى للرجل والائتى

### النزف والنزيف

النزف معناه خروج الدم من أوعيته ( الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) والنزيف هو الدم المنزوف . والنزف ثلاثة أنواع : —

( ١ ) نزف الى خارج الجسم كأن ينصب الدم على الارض مثلا  
( ٢ ) نزف في تجاويف الجسم كأن ينصب في البطن  
( ٣ ) نزف في داخل الانسجة كأن ينصب تحت الجلد أو في العضلات  
وهذا النوع الاخير هو المسمى بالرض أو السكدم كما سبق  
وسبب النزف هو تمزق العروق بسبب ما كحادث يقطع العرق أو مرض  
يفجره كالدرن أو الزهري أو مرض القلب

أما النزيف الذي يكون خارج الجسم أو في تجويف من تجاويفه فالغالب أنه ينتهي بالموت اذا كان غزيرا بشرط أن لا يعوقه عائق يسد العرق الذي يخرج منه الدم ، ففي هذه الحالة لا يموت الشخص وإنما يصاب بدوار شديد واصفرار . وبعد ذلك تعود اليه صحته شيئا فشيئا كلما تجدد دم بدل الجزء المفقود

وأما النوع الثالث وهو الذي ينسكب في أنسجة الجسم فهذا في الغالب لا يورث ضررا كبيرا لان كمية الدم تكون عادة قليلة بسبب ممانعة أنسجة الجسم للنزيف ، وقد يحدث في مكان الدم خراج

أما في الحالة الاولى والثانية فاذا فقد دم كثير من الجسم اشتد الدوار والاصفرار كما قلنا، ويصاب الانسان بما يسمى في علم الطب بالهبوط ( أو الهمود ) فيغشى عليه ويضعف نبضه ، ويصاب الجسم بعرق بارد ، وتبرد الاطراف ، وبعد ذلك يموت الشخص ، وقد يتشنج جسمه قبل الموت

وأما في النزف داخل الانسجة فيزرق الجلد إذا كان الدم المنسكب قريبا منه ، وبعد بضعة أيام تأخذ هذه الزرقة في التلاشي تدريجيا حتى يعود الجسم كما

كان ، وذلك بان يمتص اندم انفسك شيئا فشيئا حتى يعود الى العروق وان كان منعجلا الا أنه يترك مرة أخرى في البنية فن عناصره لم تقم

### المعالجة

إذا قطع عرق انكمش بسبب مرونته وانقبض فيه بسبب الالياف العضلية الموجودة في جداره ، فيمتنع بذلك النزف اذا كان العرق المقطوع صغيرا ، أما اذا كان عظيما فلا بد من عمل الانسان لايقاف النزيف والا هلك الشخص ويوجد عدة طرق لايقاف النزيف بعضها مؤقتة وبعضها دائمة

أما المؤقتة فتتضمن في الضغط على المكان الذي يخرج منه الدم، أو ربط العضو ربطا شديدا ، مثال ذلك أنا اذا رأيت رجلا طعن بسكين في ذراعه وشاهدنا دما كثيرا ينزف منه وجب علينا في الحال أن نبث في الجرح عن مكان خروج هذا الدم ونضغط عليه ضغطا شديدا باصابعنا أو بيدنا أو نربط الذراع فوق الجرح ولا يترك الضغط أو الربط حتى يحضر الطبيب لايقاف النزيف بالطرق العلمية ، ولا ضرر اذا استمر الضغط بضع ساعات فان العضو لا يموت من الضغط الا اذا امتنع عنه الدم فوق أربع أو ست ساعات

وأما الطرق العلمية لايقاف النزيف فأعظمها ، وأهمها ما يأتي : —

- (١) أن يمسك العرق المفتوح بجفت مخصوص لذلك ( أي مقبض )<sup>(١)</sup> ويربط العرق بخيط من حرير أو نحوه مطهرا تطهيرا تاما بالغلي في الماء
- (٢) أن يمسك العرق بالجفت ثم يلوى الجفت عدة مرات حتى ينقطع العرق وبهذه الوسيلة يقف النزيف ما لم يكن الشريان عظيما فيفضل ربطه
- (٣) أن يمسك العرق إن كان صغيرا بالجفت ويترك عليه بضع دقائق ثم يرفع الجفت فيقف أيضا النزيف

- (٤) وما يستعمل في الاوعية الشعرية أو الصغيرة جدا هو أن يوضع على مكان النزف قطعة من الثلج أو شي آخر بارد فتسكمش الانسجة والعروق فيبطل النزيف
- (٥) أن يوضع على مكان النزف ماء حميم (شديد الحرارة) أو يكوى بشي محمي

«١» أرى أن الاحسن تسمية مثل هذا المقبض بالحاسم لانه يقطع الدم



بالنار، وقد كان القدماء يوقفون النزيف في الاعضاء المتوردة بوضعها في الزيت حينما يغلي، ولكنها طريقة وحشية

(٦) أن يحشي المكان الذي ينبعث منه الدم حشوا جيدا بقطن أو قماش ويربط ارتباطا شديدا وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في إيقاف النزفة من الاعضاء الغائرة التي لا يمكن ربط عروقها كالرحم مثلا

(٧) أن يوضع على الجرح مواد قابضة، اما مسحوقة أو محلولة بالماء أو بغيره، كالشرب والقرص ومغلي الشاي ومغلي قشر الرمان والعفص وماء الجير وأملاح المعادن كالحديد والنحاس وغير هذا كثير. وهذه الطريقة قل أن تستعمل الآن الا في الاوعية الصغيرة أو الشعرية

(٨) إذا كان النزف من داخل الاحشاء كالرئة أو المعدة يجب أن يستلقي المريض على ظهره ويمتنع عن كل حركة حتى الكلام ويوضع الثلج على العضو الذي ينزف منه الدم، ثم يستدعى الطبيب في الحال

وأحسن ما يعطيه الطبيب في مثل هذه الاحوال هو مركبات افون والجويدار (وهو مادة فطرية تسليقية تنمو على نوع من الشعير يسمى الشيلم) وكوريد الكلسيوم وغيرها، وهذه الادوية توقف النزيف إما باضعاف ضربات القلب، أو بقبض أوعية الدم، أو بجعل الدم أقرب الى التجمد مما كان

أما النزف في داخل تجاويف الجسم كالבطن مثلا اذا تمزق عضو فيه فيعرف ذلك بحصول هبوط شديد عتب الاصابة مباشرة أو بعدها بقليل، واصفرار زائد في جميع الجسم وصغر في النبض، ومعنى ذلك أن يشعر الانسان المتعمر بأن الأوعية الدموية ليست بمتلثة بالدم كالمعتاد، واذا جس البطن في مكان الاصابة وجد فيه انتفاخا وألما وأصمية يعرفها الطبيب عند القرع. واذا كانت المعدة أو الامعاء هي المصابة تقايا الشخص دما أو وجد في برازه. واذا كانت الاصابة في الكلية وما يتبعها بال الشخص دما

فهذه العلامات وأمثالها ندلنا على النزيف الداخلي. فالاسعاف الواجب في مثل هذه الحالة أن يلقي الشخص على الارض وترفع كل الوسائد من تحت

## ١٣٤ علاج النزف في الباطن وتحت الجلد [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

رأسه وتدفعاً أطرافه السفلى ويؤمر بالامتناع عن كل حركة حتى الكلام ولا بأس من وضع شيء بارد على البطن اذا كانت الاصابة فيه

ثم يستدعى الطبيب في الحال . ولا حيلة للطبيب في مثل هذه الحالة الا عمل عملية عظمى بأسرع ما يمكن وفيها يفتح البطن وتربط الأوعية النازفة وتخاط جميع الجروح وينظف البطن من الدم الذي انسكب فيه

أما علاج النزف تحت الجلد أو في العضلات فيكون بوضع أشياء مبردة على موضع الاصابة فانها تقبض الاوعية وتعوق النزف أو تمنعه ، وإذا لم توجد هذه الأشياء المبردة فلاحسن ربط العضو فان ذلك أيضا يوقف النزف بسبب الضغط ويجب اراحة العضو المروض كمال الراحة

ومن الخطأ وضع الأشياء الدافئة على المكان المروض والدلك في أول الامر فان ذلك مما يزيد في النزف . ولا بأس من وضع الأشياء الدافئة بعد مضي عدة أيام لمساعدة امتصاص الدم المنسكب

أما علاج البنية بعد ايقاف النزف فيكون كما يأتي : —

يوضع الشخص بحيث يكون الرأس منخفضا عن باقي الجسم ، ويدفعاً تدفئة تامة وتلك أطرافه ، ويستحسن أن تلف بلفائف من أسفل الى أعلى ، والغرض من ذلك كله دفع الدم الى الدماغ فان أعظم أسباب الاغناء بل الموت هو نقصان توارد الدم الى الدماغ ، ثم يعطى كميات كبيرة من المرق أو اللبن أو الماء ليشربه وتعطى له أيضا بعض المنعشات وأحسنها الخمر والقهوة والشاي أو محلول النوشادر المخفف ( من ١٠ الى ٢٠ نقطة ) أو الاثير ( من ١٠ الى ٣٠ نقطة ) ويخمس من تصاعد الاثير في الهواء فانه اذا وصلت اليه النار أحدث فرقة عظيمة خطرة وكذلك اذا استنشقه شخص بمقدار عظيم تحصل له غيبوبة تامة

والطبيب في هذه الحالة أن يحقن المصاب تحت الجلد بمادة الاستر كينين ( بمقدار مليجرام الى ثلاثة ) أو بسترات القهوين أو البنين ( بمقدار ربع أو نصف جرام ) ويحقن أيضا بمحلول ملح الطعام بنسبة سبعة جرامات ونصف في كل لتر ( أي قدر ملعقتين صغيرتين في رطلين من الماء تقريبا ) ويحقن برطلين الى ثلاثة فاكثر من

## [ المثار: ج ٢ م ١٨ ] أقسام النزف . الرعاف ١٣٥

هذا المحلول تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة . والغرض من هذا الحقن ملء أوعية الدم بسائل بدل الدم المنزوف ليستمر القلب في عمله وليتغذى الدماغ بما بقي من الدم في الجسم ، ويسمى ذلك المحلول بمحلول الملح الطبيعي أو بالمصل الصناعي ويجب الاحتراس من عمل هذه الادوية المنعشة والحقن المائلة للعروق قبل إيقاف النزيف بالطرق العلمية السابقة والآ فان النزف يعود ثانية اذا امتلات العروق بالسوائل وانتش القلب، ويكون في هذه الحالة أشد خطرا على الشخص

ويقسم النزف باعتبار وقت حصوله الى ثلاثة أقسام : —

( ١ ) ابتدائي وهو الذي يحصل من الاصابة نفسها

و ( ٢ ) انتعاشي وهو الذي يحدث بعد انتعاش الجسم اذا لم تربط الاوعية

و ( ٣ ) ثانوي وهو الذي يحصل بعد مضي ٢٤ ساعة من حصول الاصابة بسبب أن الطرق التي أجريت لإيقاف النزيف لم تكن محكمة أو كانت عفنة أو كان الشخص مصابا بالزهري أو غيره، فيفك الخيط الذي ربط به الشريان أو يسقط ، أو يتفح الشريان المربوط بسبب عدم تطهير الخيط، أو يحدث غير ذلك أما النزف من الاوردة فانه في الاطراف يكون صادرا من أسفلها الى أعلاها غالبا ، ولا يتدفق تدفق النزف الشرياني ولون الدمين مختلف فالشرياني أحمر والوريدي يميل الى السواد. ويعالج قبل حضور الطبيب بربط العضو من أسفل الجرح لامن أعلاه ، وباقي العلاج هو كما في النزف الشرياني

## الرعاف

الرعاف نزف يحصل من باطن الانف وأسبابه عديدة تنحصر في نوعين: —

( ١ ) أسباب عارضية وهي التي تحدث من اصابة الانف بصدمة أو غيرها منجرها أو تكسر عظامها

( ٢ ) أسباب مرضية وهي أيضا نوعان :

( أ ) موضعية وهي اصابة الانف نفسه بمرض كالزهري أو الدرن أو التهاب غشائها المخاطي التهابا حادا شديدا ( وهو المسمى بالزكام)



و ( ب ) عومية وهي كثيرة منها أمراض الدم كلاسكربوط<sup>(١)</sup> والارجوانية ( الفرفورة )<sup>(٢)</sup> والصفار « الانيميا » وبعض الحيات العفنة ( مثل الحى الراجعة ) وكامراض القلب والكبد والكلى

وقد يحصل الرعاف في الاطفال والفتيان والفتيات ولا يعلم له سبب سوى رقة أنسجة أجسامهم فكثيرا ما تشاهد بعض البنات في سن البلوغ يحصل لها رعاف كثير ويتكرر ذلك عدة سنين حتى اذا كبرت زال من نفسه

وفي جميع تلك الاحوال السابقة سواء أكانت موضعية أم عامة يحصل النزف بتمزق شريان أو وريد صغير في غشاء الانف المبطن له. ويكثر تمزق عرق صغير يشاهد في الجزء الامامي الأسفل الحاجز بين المنخرين

المعالجة : تختلف باختلاف سبب النزيف — ففي الرعاف العادي للاطفال والشبان يجلس الشخص وترفع ذراعه حتى تكون أعلى من رأسه ويوضع الثلج على قفاه، ويستنشق الماء البارد أو أي محلول قابض كالشيب أو مغلي الشاي باردا وغير ذلك كثير، فإن تعاض الرعاف بعد ذلك يحقن الرعاف بشيء قليل من خلاصة الجويدار تحت الجلد أو يحشى الانف حشوا جيدا بالموصلي (الشاش) المغسوس في شيء قابض كالدمرمتول<sup>(٣)</sup> أو الشب وغيره واذا لم يوجد شيء من ذلك وكان النزف من جزء قريب أمكن ايقافه بالضغط على الانف نفسه أو بادخال قطعة من القطن بجفت أو نحوه والضغط بها على العرق النازف

(١) الاسكربوط مرض يحصل من عدم أكل النباتات والخضروات أو أكل الاشياء المتعفنة واعراضه ضعف عام وتقرح في اللثة ونزف من أجزاء كثيرة من الجسم وفي منسوجها

(٢) مرض يشبه الاسكربوط ويختلف عنه بعدم تقرح اللثة وقلة فساد الصحة وبسببه وغير ذلك

(٣) مادة مطهرة قابضة صفراء، وهي تحت عفصات البزموت. والكلمة يونانية معناها الجلد لنفع هذه المادة في بعض أمراضه

## جهاز التنفس

الغرض من التنفس دخول هواء صالح الى الرئتين ليتحد أ كسجينه بالدم فيهما فينصلح بذلك ويخرج بعض أشياء ضارة منه أهمها غاز ثاني أ كسيد الفحم فاذا دار الدم في الجسم حمل إليه هذا الا كسجين فانه ضروري جدا للاحتراق اللازم لحياة الجسم

ومجاري الهواء هي الأنف ثم الخلق ثم الخنجرة ثم القصبة الهوائية ثم الشعبتين ثم الشعب الكبيرة ثم الشعب الصغيرة ثم التجاويف القمية فالحلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية

وإنما بدأنا بالأنف لانه هو المسلك الطبيعي للتنفس لا الفم ، وذلك لان في الأنف شعرا ينقي الهواء من بعض قاذوراته وميكروباته، وفيه أيضا أجزاء مخصوصة ممتلئة بالدم فتسخن الهواء قبل وصوله الى الرئتين، أما إذا كان التنفس من الفم فان الهواء يكون حاملا لكثير من الميكروبات والقاذورات الضارة بالرئتين وبالجسم كله، ولا يسخن الهواء بمروره من الفم كسخنوته اذا مر بالأنف فيكون أبرد فيحدث سعالا اذا وصل الى الرئتين أو التهابا في الخنجرة أو الشعب الرئوية ولذلك يجب حتما تعويد الناس عدم التنفس إلا من الأنف خصوصا وقت نومهم في الليل

أما الخلق أو الخلقوم فهو تجويف متصل بالأنف والفم والخنجرة والمريء (البلعوم) وموضعه خلف تجويف الفم ويمر به الطعام والشراب وهواء التنفس وأما الخنجرة فهي جهاز الصوت وموضعها في أسفل الخلقوم وفي الجزء الامامي من العنق، وهي محاطة بغضاريف تحمل جبلين يسميان « الجبلين الصوتيين » وهما أقصر في النساء منها في الرجال ، وبينهما فتحة ضيقة لمرور الهواء منها ، وفي أعلاها قطعة كاللسان تشبه الغطاء تسمى « لسان المزمار » تساعد على منع دخول أي شيء في الخنجرة أثناء البلع

والجلان المذكوران هما اللذان يحدثان الصوت بسبب اهتزازهما اذا اندفع الهواء من بينهما، ويتنوع الصوت بمروره في تجويف الحلق والفم والأنف، والكلام عبارة عن تقطيع هذا الصوت المتولد من اهتزازهما، فيتقطع بالشفتين واللسان وغيرها. وهذا الاهتزاز يحدث تماوجا في الهواء <sup>(١)</sup> يتصل الى طبلة الاذن فيسمعه الانسان وتجد في أسفل الحنجرة القصبة الهوائية وهي منفصلة عن المريء انفصالا تاما وتمتد من الفقرة الخامسة العنقية الى نقطة امام الفقرة الثالثة الطهرية وهناك تنقسم الى قسمين لكل رئة قسم، وهما الشعبتان

وكل شعبة منهما تمتد الى الرئة وتنقسم الى عدة أقسام وكل قسم الى أقسام أخرى كالشجرة، الى أن تنتهي بشعب صغيرة جدا وهذه الشعب الصغيرة تنتهي بتجاويف صغيرة قمية الشكل، وهي المسماة بالتجاويف القمية، وفي حيطان هذه التجاويف أبواب للخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية، ومن هذه الابواب ما يوصل الى خلية واحدة، ومنها ما يوصل الى عدة خلايا مجتمعة معا وهو الاكثر وجميع المجاري التنفسية مبطنة بغشاء مخاطي، لخلاياه السطحية أهداب (ماعدات الحويصلات والتجاويف القمية) تتحرك من أسفل الى أعلا، ووظيفتها طرد ذرات التراب وغيره الى الخارج. ومن التجاويف القمية تتكون فصيصات الرئة

### وصف الرئين

الرئة اليسرى مكونة من جزئين عظيمين يسميان الفصين، والبنى مكونة من ثلاثة فصوص كبيرة، وهذه الفصوص مركبة من الفصيصات المذكورة وكل رئة مغطاة بغشاء مصلي يسمى «البليورا» كأنه كيس مختم من جميع جهاته انبعاث بدخول الرئة فيه، ولذلك يغطي سطحها بطبقة منه والطبقة الأخرى تغطي الضلوع. والبليورا كلمة يونانية معناها الجنب أما الدم فيصل الى الرئين بواسطة الشريان الرئوي الذي سبق ذكره وهناك

(١) لا بد لانتقال الصوت من وسط مادي غير الاثير يجري فيه، ولذلك لا يسمع الصوت في الفراغ فلا ينتقل من كوكب الى كوكب كالنور، وهو أسرع سيرا في الجامد منه في السائل وفي السائل منه في الغاز



## [ المار: ج ٢ م ١٨ ] كيفية حدوث التنفس وتمدد الصدر ١٣٩

ينقسم الشريان الى عدة فروع حتى تصبح شعيرية وهذه الاوعية الشعرية منتشرة في حيطان جميع الحويصلات الرئوية والتجاويف القمعية وليست متصلة بالهواء وإنما يصل إليها الاكسجين ويخرج منها غاز ثاني أ كسيد الفحم وغيرها بطريقة الاندوسموز والأ كسوسموز وقد سبق تفصيلهما (في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب) \*  
فاذا انقطع ما بين الدم الذي في هذه الأوعية الشعرية والهواء حدث نزف رئوي واعلم أن الرئتين في الصدر كأنهما في صندوق مغلق من جميع جهاته ما عدا فتحة واحدة وهي الخنجرة المتصلة بالفم والأنف . وليان كيفية حصول التنفس تقول :  
إذا فرض أن هذا الصندوق كان كيسا من جلد أو نحوه وشدت جوانب هذا الكيس حتى اتسع تجويفه دخل الهواء بقوة الضغط الجوي لينفلا هذا التجويف المستعده ، فإذا حال بينه وبين أمام غرضه شيء آخر تمدد أمام الهواء والا انفجره وهذا هو عين ما يحصل في الصدر فانه يتسع فيدخل الهواء إلى الرئتين فيمددهما في أثناء الزفير ( وهو جذب الهواء الى الصدر ) فإذا انتهت حركة الزفير عادت الرئة الى حجمها الاصلي بسبب مرونتها فخرج الهواء منها ويسمى خروجه منها بالشهيق  
كيفية تمدد الصدر واتساعه

اعلم أن الضلوع متصلة بالعمود الفقري من الخلف ومتجه كل منها الى الامام والاسفل فاذا انقبض ماينها من العضلات ارتفعت هي والقص فأتسع بذلك تجويف الصدر من جميع جوانبه

وهناك عضلة شهيرة تفصل الصدر عن البطن تسمى « بالحجاب الحاجز » وهي مقعرة من أسفلها ومحدبة من أعلاها كالقبة

فاذا انقبضت هذه العضلة تحول قعرها الى مسطح ونزلت الى البطن فضغطت على الاحشاء كالكد والطحال والمعدة ، وبذلك يتسع الصدر في قطره الرأسى ومما تقدم يفهم أن الصدر في التنفس يتسع من جميع جهاته بارتفاع الضلوع وبانخفاض الحجاب الحاجز فيضغط الهواء - كما قلنا - على الرئتين فيتسعان أمامه فتزى من هذا أن الرئتين لا تتسعان بنفسهما بل بحركة الصدر ، فاذا فرض

(\*) أي ما يطبع منه على حدة

## ١٤٠ عمل الاعصاب في التنفس. عدد مراته [المنار: ج ٢ م ١٨]

أن الصدر اخترق من أحد الجانبين مثلاً بطل عمل رئة هذه الجهة لدخول الهواء من لخرق . فاذا اخترق الجانبان مات الشخص في الحال بانطباق الرئتين وبطلان التنفس وحركة التنفس هذه وإن كانت تابعة للإرادة إلا أن لها أعصاباً تفعّلها بدون إرادة الإنسان أو علمه ، ومركز هذه الأعصاب في « البصلة أو النخاع المستطيل » وهي الجزء الذي بين النخاع الشوكي والمخ ويسمى هذا المركز بمركز الحياة. وتنبعث إليه منبهات من أجزاء كثيرة من الجسم كالجلد والرئتين نفسيهما وغير ذلك، وتنعكس جميع هذه المنبهات في هذا المركز فتجري في الأعصاب المحركة لعضلات الصدر. ولذلك نرى أنه إذا صب الماء البارد على الجسم اشتدت حركة التنفس وكذلك إذا مس الهواء جسم الطفل المولود ابتداءً تنفسه

أما الذي يحمل مركز التنفس على العمل الدائم في الحالة الطبيعية فأمران :-  
(١) حالة الدم، فاذا كثراً أكسجينه استراح المركز من العمل، وإذا زاد في الدم غاز ثاني أكسيد الفحم تهيج المركز للعمل. وقيل إن الذي يهيجه هو نقص الأكسجين من الدم. وهذا القول الأخير هو الراجح الآن عند علماء الفسيولوجيا  
(٢) تمدد الرئتين بالهواء يحمل هذا المركز على إيقاف عمله فترتخي العضلات، وارتخاء العضلات الذي يتبعه هبوط الرئتين يحمل المركز على العمل فتقبض عضلات التنفس وهامجراً

وهذا وما قبله هو السبب في حصول التنفس ولو كان الإنسان نائمًا أو مخدرًا بالكلوروفورم أو غيره  
ومما تقدم يفهم معنى الحديث القائل « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلاث أطعامة وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه »

فإن امتلاء المعدة يعوق نزول الحجاب الحاجز ويضغط عليه وعلى القلب وبذلك يحصل عسر في التنفس وضيق في الصدر وخفقان في القلب  
أما عدد مرات التنفس في الدقيقة الواحدة فيختلف من ١٤ إلى ١٨ مرة في الشبان ، وحركة التنفس تختلف في الأطفال عنها في الرجال وفي النساء، ففي الأطفال

يحصل تنفسهم على الأكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الأحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضاً وفي النساء تشاهد الحركة على الأكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضاً عدد مرات التنفس باختلاف الأعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني (يتبع)

## الحق والقوة<sup>\*</sup>

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أو درس ضروري لنا نحن السوريين

خصوصاً والشرقيين عموماً

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما أنه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الأحياء (بيولوجيا) يرجع إليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آرائه في الحرب وجوب الالتجاء إليها عدا أياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الأحاديث في الأندية العلمية والسياسية في العالم بأسره وزادت أهميته بعد إعلان الحرب الكبرى الحاضرة لأن كثيراً من الأعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين أنشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المحلات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده فنشرت مقالة بليغة مسبهة في عددها الأخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لأننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أمم الأرض إلى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدّهم افتقاراً إلى من (\*) نقل عن جريدة الأفكار التي تصدر في البرازيل (عدد ٩٠٢)



يذيعها بيننا بعد ان شبعنا من التعاليم الاكبريكية والمبادئ الخيالية التي اذلتنا  
وغير عز ، واقفرتنا وغيرنا اغثنى ، وأضعفتنا وغيرنا قوي وأفلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقط بل  
تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . واثنا  
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له  
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضاحا لما نحن بصدد الان نشر أولا  
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاول الذي لا مفر منه ، لا في  
المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن  
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف  
اذن يجب ان يهلك ويقتل . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات  
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة  
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق  
تمام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر  
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المتشي هو  
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع منتظم . والامة وهي  
مجموع أفراد - لا حياة لها الا بالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ  
الى نظام موافق أو شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت  
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت  
المصلحة العمومية تضحيته<sup>(١)</sup> أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذبح

(١) الافكار: كما عطينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع  
منه مليون نسخة في سورية والاساتنة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي  
هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى  
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الامم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآنف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك، بل يجب على الامة كمجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما ستري

لا يمكن تنظيم أمة مالم يجتمع عدد كبير من أفراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم، ومن العبث اجتماع البشر كاهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الامم الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها يخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول : المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا للناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة: لذلك وجب تباين الامم بمددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الامم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها<sup>(١)</sup> كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الامم الضعيفة والامم القوية . لذلك قلت ان الامم الضعيفة

(١) المنار : يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الاممي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

## ١٤٤ فلسفة العدل في المعاهدات والحرب [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للتوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الأمم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين اتشد الفيلسوف التلياني ماشيا فلي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الأمة، والأمة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية مالم تكن قوية، وقوتها لا تأتي إلا من حصر محبة بنيتها لها وحدها أولا، والا فاتي لأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لا يحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولا . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولا

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الأمة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم مخالف للنواميس الطبيعية الثابتة، والتخصيص أولى، إذن أن الذي لا يحب أخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بولس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يدع أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الالتجاء الى السلاح أمرا لازما، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإيماء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما



## [المنار: ج ٢٨] الحق والقوة . كون الحرب حقاً وفضيلة ١٤٥

الواسطة فخاضعة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف تحوجهم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية . واذا رأوا الخطر محققاً بالشعب فعليهم مباغته العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وثمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بانماء القوة المحسوسة وازديادها . ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين . وبرهاناً لذلك أقول :

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جارها القوي وسلمت معه بشروط مكتوبة على ورق سموها معاهدة ، ولنفرض أن تلك الأمة الصغيرة صارت قوية على تمامي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها . فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً . واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المجحفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه . ولا يمكن ان يرضى العدالة المجردة بغبن شعب كامل وغدره . ليس ذلك فقط بل اننا لا نقدر أن ندعو الاذعان لشروط مجحفة عدالة وفضيلة . بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة ، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة . أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الأمة ورفيق الحق والمطالبين به . واذا تركت الحرب تجبن الأمة عن المطالبة بحقوقها فتبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلها لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

(المنار — ج ٢) (١٩) (المجلد الثامن عشر)

والمبادئ في الحروب» ودونك مجل الانتقاد العلمي الفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصيت في عددها الاخير قالت :  
تعليق مجلة القرن ١٩١١ على الكتاب الالمانى

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل اننا اذا أمعنا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس دارون الى نياتش المادي الشهير، وغيرها كثير. وليس من العدل والانصاف ان تقلل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذاً مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولنحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم: ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلاً هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس، والتهور رذيلة أيضاً لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض يعقل المصابين بها وخصوصاً الغرور والكبرياء (١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الأفكار: انفق ونحن نقرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي: — قال أحدهم: المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل» أي ان صاحب الصفاء يتالم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال بلس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنتهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتي :

« وانني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اننا نرى أفراداً بين السوريين هم مهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالأصل gentleman، وافراداً غيرهم على غاية من التأخر والانحطاط والحلقة لوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة. وبينما نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =



وكم ضل أفاضل من الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهالهم الصدق مثلاً يكذبون، وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سترى

## ٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرائين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً ، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنازع لاجل البقاء قد اضرروا الحياة الاجتماعية لانهم دلّوها على التواكل والاستسلام وعلموها الحيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

وللجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوروبا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي ( تذكر ان الكاتب عالم انكليزي ) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها . ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الغزوة

أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك ينمنا نرى الذل والجبن في طبقة نرى الغرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء الممقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على إيجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السورين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »



## ١٤٨ حصر العدل والرحمة في أمة القوي [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

الألمانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ بمركزه المتفوق بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل حكومة راقية تضمن لابنائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع لان مجموع الامة يستفيد منهم . وكما ان الامم يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة عليها وعلى صغيرها . هذا الشرط الأول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية العلمية والسياسية عندنا سلمت بصحته فورا

أما الشرط الثاني الذي أقام العلماء وأقدمهم فهو كلام ذلك الجنرال الألماني عن علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان أفراد الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والتكاتف وتبادل الصدق والولاء والعطف والمحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهما نحو طفلها الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال برنهاردي يقول بصراحة ان لا رحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ، لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي باقتراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغدا

وبجملة أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب بنزاهة وانصاف نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصيبين المنصفين<sup>(١)</sup>

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق

«١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعداء الامان الالقاء وكلام الخصم حجة

## [ المنار : ج ٢ م ١٨ ] حصر العدل والرحمة في أمة القوي ١٤٩

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الأمة الواحدة فقط أما على غيرنا من الأمم والحكومات فمن ينكر اننا لانعاملهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برنهاردي أيضا ، وهاك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعني بالغريب وتعطف عليه وتساعد ، ولكن من أوجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافاً نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا ( الموهومة ) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما ضد الأمة القوية المتعدية ورفضت تلك الأمة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فإذا علينا ان نفعل ؟ علينا أن نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الأمة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكننا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الأمم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الأمة الواحدة التي لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الأمة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الأمم الاخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف (١) »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالنقض ولو بعد حين

## ١٥٠ الاستعمار وطرقه الثلاثة. حزب السلم بانكلترا [المنار: ج ٢ م ١٨]

### الاستعمار

#### تنازع ألمانية وانكلترا بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لا بد لها يوما من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولا الى المواد الغذائية وثانيا الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تراهم يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الامم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : ( ١ ) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سامياً حتى يتغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، ( ٢ ) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة ، ( ٣ ) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استمكنت بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شي جديد كما قلت آنفا ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك المانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الامم ووجود حزب قوي عندنا ( أي في انكلترا ) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخث ان الذي لا سيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة



## [النتائج: ج ٢ م ١٨] فضائل الحرب وتقدم مذهب القسوة ١٥١

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسيا ليست والرايكاكين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانتها عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الآراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لأنها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتخط وتفتي على تلاميذ الأجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وجذا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضاً حتى يصير الاقتباس تاماً، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

### فضائل الحرب — تقد برنهاردي

انني من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لانها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لانها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائماً ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصر في الأمة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الأمم الأخرى فللقسوة المركز الاول دائماً ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الأخير، ولكن موضوعاً اجتماعياً فلسفياً كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الأحيان ، ويخلط في تدوين المبادئ وشرحها في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شقيقته على الأمم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الأمة القوية قوية الى ما شاء الله - وهذا من أهم الاعتراضات أيضاً على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخط في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعاً علمياً ترتاح النفس اليه، بل أراه أبهى هوّة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء ( بيولوجيا ) في مصنفه الاخير وهو مولعٌ بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانهُ ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

ويحوجني الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب، فكما أن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حرب المانيا عموماً يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراءاتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة الانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لاغبار عليه، ويجدر بالحزب السامي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجود تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اه

[ المنار ] نقلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ملخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر ان شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدتها بما تقاسي من خسارة النفس والاموال



[المنار: ج ٢ م ١٨] وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني ١٥٣

## بين روسيا والمانيا\*

(وفيه وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني)

يذكر قراء « الافكار » ماعربناه من مدة من تاغراف الامبراطور غليوم الى القيصر نقولا إذ قال له يومئذ انه موسى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرًا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوده بنصائح ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن تملك على عرش أجدادك القيصرية فاعتنق الحق والعدل وبشهما في الرعية . واعتن بالجيش مزيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني بأسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و(حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على اخلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر حليفة جرمانيا الالمانية ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطاً بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم وتماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمراً واجباً فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادي فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك وإياك ، ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطيدة نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(\*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

(المجلد الثامن عشر)

(٢٠)

(المنار: ج ٢)



## ١٥٤ المادة السابقة والجفوة اللاحقة بين ألمانيا وروسيا [ المنار: ج ٢ م ١٨ ]

في سبيل مرضاتها واستاة ردها اليك ، وايد الصلات السامية التي كانت لنا في مدة المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي تنطبق على مصالح المانيا » انتهى

هذا بعض ما وقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أمانى جده من توثيق عرى الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلاقات الودية على سابق حالها غير واهية ولا منفضة

وقد عرف العالم أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦ مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا، والخدمة الجليلة التي قام بها اسكندر الثاني قيصر روسيا في تسهيل الوحدة الألمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا يزال العالم يذكر تفراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال له « أعترف بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفرديك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية. وقد كان بسمارك لا يطيب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفه النمسا وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين، إذ لم يشأ ان يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة القربى ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة الذكر

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالاً مشهور بعداوته لالمانيا فعين منذ سنة ونصف سفيراً لدولته في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الراهية لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا، وساعدته الظروف والحكمة

## [ المثار: ج ٢ م ١٨ ] انقلاب روسية على الالمان بسعي دلکسه ١٥٥

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعتها مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها . وقد نجح دلکسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية ، قتراخت العلاقات بين الحكومتين وسعى القيصر للتخلص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه ، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحربية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حربية ، وأضافت عددا عظيماً الى جيشها الهائل ، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات ، وازادت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا ، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا ، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين ، ومكنت الحقد بين الشعبين . وكان المسيو دلکسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهاها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة . أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الجرمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة براين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلما ترى الآن في روسيا من يحب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في اغرام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغاريين في صوفيا . وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا . وقد أرادت حكومة القيصر أولاً ان تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط ، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري — كماريا بافلونا قرينة الفراندوق فالديمير والبزابت فيودوروفنا شقيقة القيصرة ورثيسة دير كبير الراهبات ودوقيات أولدنبرغ وليستنبيرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانى الاصل الذين يشتغلون بجميع قوام لزيادة متانة العلاقات بين روسيا ومانيا ، عدا عن العلاقات الوطيدة الشخصية



بين القيصر والامبراطور ولان، حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لتفيد الثانية كثيراً.

أما فقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين لحسة عشر مليوناً من الجرمانيين. لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا مازالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمراً طبيعياً لا مفر منه اهـ

## ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة ( عليكده إنستيتيوت غازت ) بقلم عبد الرزق من تلاميذ دار الدعوة والارشاد

انتهت السنة الثمانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخنا الى زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاه غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

( ثم بين الكاتب محمد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والنابعين فيهم الذين كانوا يخلفون السلف ، والمحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موتاهم . وقال )

ان في سيرة الشيخ عبداً ودروساً للطبقتين - طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . وتوخياً للقائدة نلمح الى تاريخه فنقول :

الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكنني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كـ محمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة



الحكومة ولكنه لم يلبث أن تركها من تلقاء نفسه . ثم قرر معلما للغة العربية في كلية علي كره فاتخذ له بيتا بجوار السيد أحمد خان رئيس الكلية . وكان السيد يبحث في العلوم المختلفة فاقتبس منه ومن المعلم أرنلد الاستاذ في الكلية معلومات في الفلسفة والعلوم الحديثة ، وهو الذي علم الاستاذ المذكور عليه كثيرا من العلوم الإسلامية واللغة العربية ، لهذا كان في تأليف كتاب « الدعوة الإسلامية » Preaching Of Islam للاستاذ أرنلد يد كبيرة للشيخ .

وخرج من الكلية سنة ١٨٩٨ بعد أن توفي السيد أحمد وذهب الى حيدرآباد وهناك كانت قد أسست الجمعية العلمية المسماة « السلسلة الأكاديمية » فتوظف فيها براتب ٢٠٠ روبية في الشهر ( والآن قد زيد فيها مائة فصارت ٣٠٠ روبية ) وألف بضعة كتب باسمها ثم رتب مشروع كلية حيدرآباد .

ولما رجع من حيدرآباد طلبه محسن الملك رئيس الكلية لها ولكنه لم يقبل ورجع ندوة العلماء عليها ، وأقام في مدينة السكنو فكان فيها عضوا كبيرا عاملا . وفهم مقاصدها حق الفهم وأراد أن يشرها فنظم شؤونها وأصدر مجلة كبيرة باسمها كانت من أسيبر المجلات الهندية وأرقاها . وهي لا تزال نغرا في اللغة الهندية . ولكنه لما انتخب رئيسا للجمعية بعد اعتزال رئيسها الشيخ محمد علي لم يقدر على استخدام الأعضاء كلهم كما استخدمهم سلفه ، لأنه اشتهر بحرية الرأي والاجتهاد في كل شيء ، فخالفه العلماء وظنوا به الظنون ، حتى قال بعضهم أنه دهري ويريد افساد الجمعية . فلم ينجح في عمله هذا كما ينبغي ، ولكنه استطاع تنفيذ كثير من مقاصدها .

وساح في البلاد الإسلامية في زمن اقامته في الكلية للاستعانة على تأليف تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطالعة الكتب التي لا توجد في الهند فكان الكتاب من أحسن الكتب التاريخية على طريقة حديثة وسيكون نغرا له الى الابد . وبعد رجوعه من السفر ذهب الى رستميد فرض هنالك مرضا شديدا ذهب بصحته الجيدة فلم تعد الى الموت .

ومن الحوادث المؤلمة في حياته اصابة رجله بالرصاص . وسبب ذلك انه كان جالسا في حرمه والبنديقية في يد زوجته ابنة فسقطت على الارض فاصابت ساقيه . وآخر حياته مملوءة بمخافة العلماء له في الندوة ولكنه مع هذا كله مازال مشغولا بتأليف تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم . وأرسل الي خطابا قبل وفاته بقليل وصف فيه تأثير موت أخيه في نفسه ثم قال : أريد تأسيس دار للمصنفين ودار لتكامل العلوم أدرس فيها بنفسي التفسير والحديث ويدرس فيها غيري من العلماء

الآخرون لعلني أنجح في هذا بعد العجز عن العمل في الندوة التي أضعت وقتي فيها . ولكن جاءت المنية قبل تحقق رجائه . جزاه الله خير الجزاء لأعماله النافعة للمسلمين

### ترجمة الشيخ شبلي النعماني

بقلم عبد الرزاق أحد طلبة دار الدعوة والارشاد  
كان الشيخ شبلي النعماني من أكبر علماء الهند قدرا وأوسعهم علما وأشدهم غيرة على الدين والأمة . خدم المسلمين زمنا طويلا بدون تعب ولا نصب ولا مبالاة بمحوادث الدهر . ومن مزاياه الكثيرة انه كان نابغا في علوم عديدة . مجتهدا في الدين والعلوم العقلية . ماهرا في تاريخ الشرق والغرب . أدبيا بارعا في اللغة العربية والفارسية ، ينشد الشعر بالفارسية مثل أعظم شعراء العجم . وهو يعد من أئمة اللغة الهندية وأفصح كتابها . له كتب كثيرة جدا في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين الفارسية والهندية وفي علوم شتى . وآخر كتاب كان يعنى بتأليفه هو « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » ولم يكمل يتم جزءا منه حتى عاجلته منيته وهو ابن خمس وستين سنة تقريبا . هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التاريخية بل أراد رحمه الله أن يكتب باستقصاء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من آثار النبي وأقوال المتخربين(?) إلا أحصاها وبمحت فيها بحثا تاريخيا فلسفيا ليس من ورائه بحث . وكان من اهتمامه بالكتاب المذكور أنه قبل الاشتغال فيه أعلن في الجرائد الهندية انه يحتاج الى خمسين ألف روية ( ٣٣٢٥٠ جنيا ) ليسافر الى الممالك الاسلامية والافرنجية ويطالع في مكاتبها الكتب المؤلفة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتساءل عمن يساعده بذلك ؟ فأجاب طلبه « أميرة بهوپال » التي اشتهرت بالأعمال الخيرية والعلمية ، غير انها لم تأذنه بالسفر لكبر سنه وما أصابه من العرج بل وعدت بان تطلب له جميع الكتب المحتاج اليها وتعطي ٢٠٠ روية شهريا لترجمي الكتب الافرنجية منها ( لان الشيخ لم يكن عالما بلغات الغرب ) فاشتغل الشيخ بالكتاب ثلاث سنوات وكمل منه جزء واحد كما ذكر آقا .

وكان ينتهز الفرص لينفع المسلمين . ومن مآثره أنه نجح في مسألة الوقف على الاولاد عند الحكومة فاجازته بعد ان كانت أبطلته .

ربما يظن ظان أن هذا الشيخ الجليل كان من متخرجي المدارس العالية ومن أصحاب الشهادات العليا . وليس الامر كذلك . فانه لم يتعلم في مدرسة ما قط بل كان يتلقن بعض العلوم المتروكة القديمة في بيوت بعض العلماء . ولم يكن يعلم شيئا



من أحوال العالم المدني ولكن علامات الذكاء كانت تنطق على سماه بعظيم مستقبله . ولما كمل دروسه غير المنظمة انتظم في سلك المعلمين في كلية على ككرة الشهيرة وهناك ظهر له أنه يوجد عالم غير عالمه وعلوم غير الفقه والكلام والفلسفة اليونانية فأخذ يطالع العلوم حتى عد من أكبر علماء الهند . وفي هذا الاثناء ساح في البلاد الاسلامية كلها ليعرف داء المسلمين ودواءه . وبعد رجوعه الى وطنه ابتداء دوره الذهبي ، لانه ترك الوظيفة ولم يعمل شيئاً بعد إلا لأصلاح المسلمين . ولهذا الغرض أخذ على عاتقه مشروع ندوة العلماء ، وهي لم تكن شيئاً يذكر قبله وبهمته العالية ترقى في مدة قصيرة حتى سمع صوته في العالم المدني ونخرج فيها العلماء والمربون . وكانت له أمانى كثيرة حالت منيته دونها اذ وافته بعد ان مرض نصف شهر فسقطت بذلك حلقة كبيرة من سلسلة المصلحين ، وانطفأ مصباح الهند ، فليحزن على فقده المصلحون والهنود المسلمون ، انا لله وانا اليه راجعون

( المنار ) فقدنا الاستاذ النعماني في عهد هذه الحرب التي حرمتنا رؤيته ما عدا جريدة عليكده من جرائد الهند فلم تقف على شيء من تأيينها وترجمتها له . والشيخ حبيب الرحمن الذي كتب تلك النبذة الوجيزة في جريدة عليكده من أهل العلم والدين ، وحزب المصلحين المعتدلين ، ولكنه أوجز واختصر حتى انه لم يذكر لنا مصنفات الشيخ : ولعل أهل مصر وغيرها من البلاد العربية لا يعرفون منها الا رده الوجيز على كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ، وما هو الا عجالة جعلها نموذجاً لبيان ما أنكره من ذلك الكتاب ولم يرد به الاستقصاء . وكنت رأيت له رسالة في الجزية نشرت بعضها في المجلد الاول من المنار وهي تدل على اجتهاده في التاريخ وعلوم الدين . ومن سوء حظ المسلمين أن يقوم حزب الجود في وجوه هؤلاء الأفراد من المصلحين كالشيخ النعماني وبحولوا بينهم وبين خدمتهم لمتهم وأمتهم . ويضعف أنصار الاصلاح عن احباط أعمالهم ، ومما يذكر بالاعجاب في ترجمته أنه لم يوجد في أمراء الهند وعظماؤها رجل عرف قيمة هذا الاستاذ الكبير المصلح كما عزفته أميرة بهوبال فضلى نساء تلك الاقطار وأقياها . وسننشر في الجزء التالي كلمة وجيزة من صلة المودة بيننا وبين القعيد وكتاباً منه يعلم منه شيء من صلته العلمية الدينية بصاحبة بهوبال أدام الله النفع بها .

السر محمد سلطان آغا خان

زار مصر في أوائل هذه السنة السر محمد سلطان آغا خان زعيم طائفة الاسماعيلية أقدم طوائف الباطنية بل إمامهم ومعبودهم . جاءها عائداً من لندرة عاصمة انكلترا



حيث يقيم معظم سنته - الى وطنه بمجي أول ثغور الهند حيث يقيم مدة فصل الشتاء عادة . وقد نزل ضيفا على الجنرال غرانفيل مكسويل القائد العام للجيش البريطاني بمصر فلقني من الحفاوة والاكرام من الحكومة المصرية وكبراء الانكليز ما يليق بمقامه ومكانه من ثقة الدولة البريطانية به وإخلاصه في خدمته لها

وقد اجتمعت به في دار ( مستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية الانكليزية ) وتحدثنا أكثر من ساعة في الشؤون المصرية وأحوال المسلمين في مصر وفي غيرها من الاقطار . وكان أكثر الحديث أسئلة منه وأجوبة مني ، وكنت أحب أن أسأله عن أمور فلم يتسع الوقت لذلك ، وتحدثنا بمعنى اجتماع آخر فلم يتيسر ولعل من أسباب ذلك كثرة تنقله في البلاد المصرية وعدم لبثه في القاهرة بعد ذلك الا قليلا

وقد كان أول حديثه الشكوى من قلة عناية المسلمين بالعلم وسألني عن سبب ذلك فشرحت له رأيي فيه ، ومما ذكرته له في ذلك أن العلم لا يرتقي وترتقي الامم به الا بالعمل ، ولا سيما العلوم الطبيعية والآلية ( الميكانيكية ) التي يشعر عقلاء المسلمين بشدة حاجاتهم اليها ، وتوقف مجاراتهم للافرنج عليها ، وان أسبابا سياسية واجتماعية حالت دون السير في هذه العلوم على الطريقة العملية التي تتوقف على إيجاد المعامل ودور الصناعة في البلاد ، وان الحكومات هي ذات الشأن الأول في إيجاد ذلك وأكثر حكام المسلمين ليسوا منهم . وأما الحكومات الاسلامية المستقاة فقد كانت الدولة العثمانية والامارة المصرية - وهما أقربهن الى الحضارة - شرعتا في اقتباس العلوم والفنون الأوروبية منذ مئة سنة أو أكثر ، أي قبل شروع اليابان في ذلك ، ولكن حال استمرارهما على الطريقة العملية مالا سعة في الوقت لشرحه فزالت المعامل ودور الصناعة التي شرع فيها محمد علي باشا كما اضمحل ما أنشئ من ذلك في الاستانة مع كون الحاجة اليها أشد والقدرة عليها أتم ، واكتفى الترك والمصريون باقتباس المبادئ الناقصة من هذه العلوم والفنون ، وانما يتوسع قليل منهم بما هم أقل حاجة اليه من غيره كالفوانين وتاريخ الامم الأوروبية ولغاتها ، مع جهلهم بشريعتهم وتاريخ ملتهم وآدابها ، ولأجل هذا كان ضررا أكثر المتعلمين أكبر من نفعه . ولما كان الطب لا يكون الا عمليا كان هو أضع ما اقتبسناه من العلم الحديث ، ففي مصر والبلاد العثمانية كثير من اطباء الذين يخدمون البلاد أجل خدمة . وكذلك الهندسة فانها قد أفادت بقدر الحاجة اليها في الاعمال كالري وسكك الحديد فالهندسون المصريون لا يقصرون عن الأوربيين الذين يعملون معهم في هذه البلاد

أما حديثنا عن حالة مصر ومسألة الحماية الانكليزية الجديدة فلا يجوز نشره الآن